

ليس في الإسلام بابا

أتى الإسلام بالحق والصدق وإكرام الإنسان وإنزال الناس منازلهم وحارب الخرافة والوثنية والغلو، ومن ذلك أنه جعل العظمة والكبرياء والجبروت لله وحده، حتى رسولنا ﷺ كان يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله»، وكان يغضب إذا غلا أحد في مدحه، وعرف الصحابة ذلك، فماشوا في وضوح وصراحة موحدين ربهم عارفين حق رسولهم ﷺ سالمين من الغلو والإطراء، حتى يقول ابن عباس لبعض الناس ممن غلا في أقوال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال الله ورسوله وتقولون: قال أبو بكر وعمر، فخلف من بعدهم خلف عبر القرون غلوا في المشايخ والزعماء والأولياء فقدموهم، ومنهم من طاف بقبر الشيخ والولي وطلب منه المدد والغوث وقضاء الحاجات وتقريح الكربات، وهذا شرك صريح وضلال واضح، ومنهم من أخذ كلام شيخه كأنه قرآن يتلى وساعده في ذلك قبول المشايخ لهذا الغلو وسكوتهم على هذا المنكر، حتى إنني رأيت من شيوخ الضلالة من يقبل أتباعه قدميه وركبتيه ويديه ورأسه وهو مطرق كأنه حية رقطاء، ومن الأتباع من ينظم القصائد الغالية في شيوخه ويعطيهم بعض صفات الألوهية بل الربوبية: ﴿قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْنَ﴾.

وذكر الذهبي أن بعضهم يقول: لا يفلح من قال لشيخه: كيف؟ أو لماذا؟ يعني المقصود أن يكون الأتباع: ﴿صُمْ بُكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. ونحن في الإسلام نقدر العلماء ونحترمهم ونجلهم ولكننا لا نغلو في حبهم ولا نجعل أقوالهم نصوصاً قاطعة، بل نعرض أقوالهم على الكتاب والسنة، وعجبي لا ينتهي من أناس إذا حاورناهم في مسألة وعرضنا لهم الدليل جادلونا بكلام الشيخ كأن كلامه وحى منزل، وهذا الغلو الذي تعيشه الأمة ناتج عن ضعفها وهزالها وغطائيتها، وقد سرى هذا الغلو في الجانب العلمي والسياسي والاجتماعي، فتجد كثيراً من الدول

نسي اسم الدولة وأهل الوطن كله، وركز على اسم الزعيم فقط كيف يتحدث؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف ينام؟ كيف يستيقظ؟ كيف يبتسم للجماهير؟ فصار الإعلام والتعليم مشغولاً بهذا الرمز والقائد الضرورة والمهيبة الركن وفارس أحلام الأمة وبركة العصر وباني أمجاد الأولين والآخرين وسر الله في العالمين، وصار الغلو إلى أن وصل الشرك في الأولياء، فصاروا يتبركون بشعرهم وأظفارهم وملابسهم وبصاقهم ونفثهم في الماء والزيت، ومسح قبورهم، والطواف بأضرحتهم، فانطمس نور التوحيد، وذهب جمال الدين الخالص، وانطفأت أنوار الرسالة، وذهبت بهجة الإسلام، وسكت كثير من العلماء عن هذه المنكرات.

وقد زرت مسجد الحسين قبل عشرة أيام فوجدت والله ما أبكى العين، رقص في ليلة المولد التي ليس عليها دليل وغناء وموسيقى بجانب المسجد وضرب للصدر وصياح ونواح ونداء وصراخ وهم يهتفون: يا جد الحسين، أغثنا، فبالله عليكم هل هذا من الإسلام وهل عليه دليل من الكتاب والسنة أم هو الشرك والضلالة والخرافة والله لو شاهدتهم أحد من غير المسلمين لسخر منهم واستهزأ بهم ومج الإسلام ونفر من الدين، لقد جرد الرسول ﷺ التوحيد لله وحده وحمى جنبه وقطع كل وسيلة شركية أو بدعية تصل إليه حتى في الألفاظ، فقد أنكر على الأعرابي الذي يقول: ما شاء الله وشئت، فقال له: ويحك أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده، وقال ﷺ وهو في سكرات الموت: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد»، فيا أيها المسلمون اخلصوا التوحيد لربكم واخرجوا من ظلام الشرك والبدع والخرافة ولا تغلوا في دينكم ولا تقدسوا مشايخكم، حتى لو كانوا أتقياء بررة فحق العالم والشيخ التقى الصادق أن يوقر ويحترم وينزل منزلته على أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقد يصدر منه الخطأ والذنب، أما هذا العبث الذي يجري في العالم الإسلامي من نصب بابوية في كل مكان والإعلان عن مشيخة في كل مدينة فهو منهج إبليسي ومذهب شيطاني، فعلته الأمم الضالة قبلنا واتبعهم جهالنا، كما قال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حدوا القذة بالقذة

حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، أرجو أن نعود لمصدر التلقي الصحيح وهما الكتاب والسنة، ونقرأ سيرة سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ونعود عودة صادقة إلى العقيدة الصحيحة والدين القويم، ونطهر عقولنا وأرواحنا من رجس الخرافة ومن نجاسة الوثنية ومن دنس الشرك ومن درن البدعة: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾



ثمن الحرية الحمراء

نزل صك الحرية من السماء أتى به جبريل من عند الله عز وجل، ونصه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنِلُونَ وَيُقَنِّلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فجرى العقد في بيعة الرضوان والمشتري هو الله، والبائع المؤمنون، والسلعة الجنة، والثمن أرواح المؤمنين، والشاهد الرسول ﷺ، وحامل العقد جبريل عليه السلام، فبايع المؤمنون وقاموا من مجلس العقد، وفي الحديث: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإذا تفرقا وجب البيع»، ولم تحصل الحرية من عبادة الطاغوت بالمفاوضات فحسب، بل لما عاند أعداء الله كان بحسب من السيف، يقول صديقنا أبو الطيب:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته

أجاب كل سؤالٍ عن هل بلم

وكل الثورات التحريرية في العالم والفتوحات والحركات النضالية لا تحصل إلا بأرواح تُزهق ودماء تُسفك، وهل قامت الدول إلا بأثمان باهظة من الدماء والأشلاء والجماجم؟ وما وقع في بدر وأحد والقادسية واليرموك وحطين إلا دفاع عن حرية الإنسان، إذ يتحرر من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق سبحانه.

وفي التاريخ المعاصر هل وُحِّدَت الولايات المتحدة الأمريكية على يد جورج واشنطن بالمفاوضات الدبلوماسية والاجتماعات الودية أم بالحديد والنار والتضحيات الباهضة؟ وهذا ما حصل، هل حررت الجزائر أرضها أو شعبها من الاحتلال الفرنسي بالترجي والتّمني وطلب العفو أم بكتائب جرّارة ونار موقدة وقذائف حامية ورؤوس عافت أبدانها في سبيل الحرية؟ وهذا الذي جرى، وهل

أُخرج الاستعمار الفرنسي والإنجليزي من العراق وسوريا واليمن وليبيا وغيرها
بالتمايم والحجب المعلقة وخرز السّحار أم بعاصفة من الغضب والزحف المقدس
وآلاف الشهداء وأنهار الدماء؟ وهذا الذي صار يقول شوقي:

وللحرية الحمراء بابٌ

بكل يد مضرجة يُدقُّ

وهل وحّد الملك عبدالعزيز السعودية وقضى على عهد السلب والنهب وتقاتل
القبائل وتعطيل قوافل الحج وفتون المشعوذين والسحرة والكهنة، هل قضى على ذلك
ببطاقات معايدة أو كروت دعوة أم بسيف بتار؟ كما يقول الشاعر خلف بن هذال:

شاقني برقن سرى في مقاديمه سحابٌ

كن فيه اسيوف عبدالعزيز امسلله

وكم يعجبني البيت الشارد الفذ الذي قاله ابن دحيم شاعر العرضة النجدية
للملك عبدالعزيز، حيث يقول:

نجد شامت لبوتركي وخذها شيخنا

واخمرت عشاقها عقب لطم اخشومها

أقول هذا وأنا أقرأ لبعض الكتاب الانهزاميين الذين أنكروا على الشعوب العربية
طلب الحرية ودفع الدم الأحمر في سبيل ذلك وطالب هؤلاء الموهومون بالألا تكون
مواجهات وإنما بطريق الحوار السلمي -يا سلام على الحوار السلمي- وهل يقتنع
زين العابدين في تونس بالحوار السلمي؟ وهل يؤمن أصلاً بالحوار؟ وهل يحترم العقل
والنقل؟ وهو الذي فتك بالشعب التونسي فتكاً وأذله إذلالاً وحال بينهم وبين الإسلام
ووالله لو فاوضه شعب تونس مئة سنة ما أصغى لهم، حتى خرجوا كالبجر المائج ففرَّ
كالحصان الهائج، هل يرضى حسني مبارك ويسلم للمصريين حريتهم بالمفاوضات
وهو الذي خطط لابنه جمال ليكون خليفة من بعده يجثم على صدور المصريين
أربعين سنة، ولكن أبطال العبور وهازمي العدوان الثلاثي رفضوا ذلك حتى أدخلوه

الزنزانة ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾ أحدهم جمال والآخر علاء؟ فأحدهما يحمل على رأسه خبز الشعب والآخر يعصر خمر اللذات؟ هل سيسلم القذافي السلطة بعد اثنتين وأربعين سنة أهان فيها ليبيا وسام الليبيين الأحرار أحفاد عمر المختار سوء العذاب؟ هل سيسلم لهم حريتهم بالنقاش والإقناع؟ كلا، وألف كلا لكن لما حمل الثوار البنادق وقدموا الأرواح وأرخصوا الدماء فرَّ هو وأولاده كالجرذان من جحر إلى جحر، حتى قبض عليه في مجرى سيل كان مختبئاً فيه وقُتل، بعد أن أهان شعبه ونعتهم بالجرذان. هل يؤمن بشار الأسد بالتداول السلمي للسلطة وهو الذي ورث أباه في خلافة مغولية بعد أن عدل الدستور السوري في ثلاث دقائق حيث كان ينص الدستور على أن عمر الرئيس أربعون سنة فُفتح على المجتمعين لا فتح الله عليهم واكتشفوا أنه يجوز أن يتولى الرئيس وعمره سبع وثلاثون سنة، ثم نكسوا على رؤوسهم واكتشفوا ثانية أن هذا الرئيس هو الغلام بشار بن حافظ، فهتفوا في مجلس الشَّعب وليس في مجلس الشعب: ﴿ يَكْبُشْرِي هَذَا عَلْمٌ ﴾، هل مثل هذا يستمع لصوت أو يبكي لفقيد أو يرثي لشهيد أو يرحم عجوزاً أو يلطف بأرملة؟ لا والله بل بثمن الحرية الحمراء وهو دم أحمر يخرج من عروق مؤمنة بالله وتقطع معه رؤوس سجدت لله، كما قال العبودي شاعر العراق لما أخرجوا المستعمر بعد تضحيات من الدماء والأرواح:

ثَمْنُ الْمَجْدِ دَمٌ جُذْنَا بِهِ

فَسَأَلُوا كَيْفَ دَفَعْنَا الثَّمَنَ؟

والله لقد كان ثمناً باهظاً ومكلفاً ومتعباً وضخماً، ولكنه ثمن الحرية الحمراء دائماً وأبداً. قال زميلنا أبو الطيب المتنبّي:

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا

مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِضَافُ الصَّوَارِمُ



وقال في بيت باذخ جبّار:

لا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى

حتى يُرَاقَ على جِوَانِبِهِ الدَّمُ



تحرير الإنسان قبل تحرير الأوطان

لما بُعث الرسول ﷺ كان همه تحرير الإنسان من عبودية الطاغوت والسجود للصنم وإفراد الله تعالى بالألوهية والوحدانية، لقد مكث ﷺ في مكة عشر سنوات يدعو إلى لا إله إلا الله وهي تحرير للإنسان ولم يسع لتحرير مكة البلد، بل تركها حتى عاد لها بعد عشر سنوات بجيش جرار فاتحاً منتصراً، كان ﷺ بالوحي المنزّل عليه يحرر الإنسان من عبوديته للإنسان أو أي كائن من كان ليكون عبداً فحسب للرحمن الذي خلقه ورزقه وتولى أمره فأنقذ بدعوته بلال بن رباح الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي من سياط التعذيب والاستبداد والاستعباد التي كان يمارسها عليهم الطغاة المتسلطون، وهو يعلن أن لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وأن أكرم الخليفة عند الله أتقاهم وأن الناس سواسية كأسنان المشط، وطُبقت هذه التعاليم في دولة النبوة والخلافة الراشدة فيتولى زيد بن حارثة وابنه أسامة وهما من الموالى قبل الإسلام قيادة جيش الإسلام في عهده ﷺ، ويجلد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الناس محمد بن عمرو بن العاص ابن أمين مصر؛ لأنه ضرب قبطياً، ويقول له عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

وأصل فكرة الإسلام تقوم على الحرية، فمن بنوده: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، ولهذا يولد الإنسان حراً ليس لأحد من البشر عليه عبودية بل عبوديته لله وحده، لأن من تمام إنسانية الإنسان أن يكون حراً الحرية المشروعة التي لا تمتدي على حريات الآخرين، حرٌّ في نفسه ورزقه وعمله وقلمه وحرٌّ في فكره بضوابط الملة التي وافق عليها عقلاء العالم، يقول أرسطو: ليس هناك حرية مطلقة إلا في الأذهان، وقصدي من هذا أن الإسلام حرّر الإنسان قبل أن يحرر الأرض فأعطاه قيمته وأشعره بإنسانيته وفتح له آفاق العطاء والإبداع والموهبة، أما أتى حسان بن ثابت وهو شاعر جاهلي كبير فرحّب به ﷺ وقرب له منبره وحيّاه

وحياً موهبته؟ ورحب بموهبة خالد بن الوليد في الشجاعة والإقدام وسلّم له قيادة الجيش؟ ورحب بموهبة ثابت بن قيس في الخطابة وأقامه في الوفود منافحاً عن الملة؟ وفتح باب الشورى فكان ﷺ يستشير الناس مع العلم أنه معصوم مؤيد بالوحي ولكن الله يقول له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، بل استشار ﷺ حتى الجارية في قضية عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري، واستشار أم سلمة رضي الله عنها زوجته في الحديبية وأخذ برأيها وأخذ عمر الفاروق رضي الله عنه برأي امرأة في المهر وقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر، وماذا كان ينفع تحرير مكة والوطن والإنسان الذي يعيش عليها مستعبد مضطهد؟

وقد تفتّح الأراضي وتوسّع الأوطان ولكن البشر الذين يمشون على وجهها أرقاء أذلاء لأصنام الحجر، أو أوثان البشر، فكان مشروع الإسلام العظيم أن يحرر الإنسان في معتقده وفكره وكلمته وقلمه وموهبته ورزقه وكرامته ليس للإنسان عليه عبودية وإنما قد يكون هناك ولاية لمصلحة الإنسان نفسه؛ لتقوم حياته على النظام، وهذه الولاية أو السلطة متفق عليها عند سائر الأمم وهي عقد شراكة وفي كتاب أفلاطون (الجمهورية) جعل هذه الولاية هيكلًا لتنظيم الحياة وكذلك الفارابي في (المدينة الفاضلة) وتونبي المؤرخ الإنجليزي في تاريخه، لكنها ليست عبودية إنما هي تعاون في صنع الحياة كالمؤسسة التي بها مدير وكاتب وحارس ومحاسب، وليس معنى ذلك أن أحدهم خالق والآخر مخلوق، كلا بل هم بشر تحت حكم الله سواسية أمام العدالة والمغانم والمغارم والحقوق والواجبات، والذين سقطوا من طغاة العالم وداستهم الجماهير بأقدامها إنما حصل لهم هذا الهوان؛ لأنهم خالفوا سنة الله في حرية الإنسان وحقه في العيش الكريم والاستقلال بشخصيته وتنمية موهبته ومواصلة إبداعه، فهم اختصروا الأمة في ذواتهم وألغوا الأصوات إلا أصواتهم، فصادروا الآراء إلا آراءهم وشطبوا الصور إلا صورهم ولهذا شنع الله على فرعون الطاغية اللعين المستبد وذكر قوله السخيف حيث يقول لرعيته: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ ومعناه فكروا جميعاً بعقلي وتكلموا بلساني وعيشوا من أجلي وموتوا لبقائتي.

ولهذا يقول الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد): إن الموهبة والنبوغ والقدرات العقلية تُقتل في عهد الاستبداد، إن مكتشف القنبلة الذرية في الولايات المتحدة كافأه الرئيس الأمريكي ترومان بأرفع الأوسمة وأثمن الجوائز وصار شخصية لامعة في تاريخ أمريكا ولكن المخترع في دول العالم الثالث والمكتشف يتعرض للمحاسبة والمساءلة؛ لأنه استخدم عقله وأظهر نبوغه، وقد حوكم جاليليو لما قال في دوران الأرض في ظل الاستبداد من قِبَل الكنيسة، وفي عصر الحرية كُوفئ الكاتب راسل ولامارتين وفولتير وغيرهم من الكتّاب واللامعين بأسماء شوارع وجامعات في فرنسا وحيثما ترى الأمة تقدر العلماء وتحترم المهويين فاعلم أنها صاعدة في سلم الرقي والتّمدن، وإذا رأيتها تحاصر العقول وتُلغي المواهب وتعتقل النبوغ فاعلم أن ربح الزمن سوف تهوي بها في مكان سحيق؛ لأنها خالفت حكمة الله وسنة الوجود وقانون الحياة، والفرق بين الأمم المتحضّرة والمتمدّنة والأمم المتخلّفة الجاهلة هو مستوى حرية الإنسان.



لماذا تأخر العرب؟

تأخر العرب في سلم التمدن الحضاري والرقي المادي لأسباب من أهمها: الجهل والاستبداد والاختلاف، فالجهل حملهم على هجر المعرفة والتقصير في طلب العلم والإعراض عن القراءة والاطلاع والبحث والاستقراء، فارتفعت نسبة الأمية ورضوا باجتراح الماضي والتغني بمجد الأجداد مع العلم أن أول آية نزلت على النبي الأمي العربي ﷺ قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، ولهذا فانظر نظر متأمل في الجمهور العربي في الميادين العامة والحدائق والطائرات والباصات تجدهم في كلام لا ينتهي وحديث فارغ لا ينفع، بينما ترى غيرهم من الشعوب الشرقية والغربية أهل اطلاع ومصاحبة للكتاب وأهل نظر وبحث ودراسة وتأمل، ومن أسباب التخلف الاستبداد والانفراد بالرأي وتعطيل عمل المؤسسات وعدم السماع للآخر وعدم الإنصات لآراء العقلاء والحكماء والاستيلاء على المقدرات والاستحواذ على الثروات ومحاربة الأفكار المبدعة والمواهب الخلاقة؛ خوفاً من التغيير والعمل بشعار (ليس في الإمكان أحسن مما كان) وترديد مقولة: (اللَّهُ لا يغيِّر علينا) واللَّهُ لا يغيِّر حال المحبطين والضعفاء والفاشلين حتى يغيروا ما بأنفسهم فيطلبون العلم ويعمرون نفوسهم بالإيمان ودنياهم بالعمل والإنتاج.

والسبب الثالث من أسباب تأخر العرب الاختلاف والفرقة والتمزق والأناية، فهم ثنتان وعشرون دولة واثنتان وعشرون رأياً واثنتان وعشرون مقعداً واثنتان وعشرون طريقاً، وهذا الاختلاف جعلهم أعداء لأنفسهم ومصالحهم، فالجار العربي يتربص بجاره وربما احتل أرضه واغتصب دياره كما حصل في مناطق التوتر بين دول عربية، بينما تجد أوروبا على اختلاف دياناتها ومذاهبها وأعراقها ولغاتها توحدت في كيان واحد وعملة واحدة وسوق واحدة وبرلمان واحد وجيش واحد، فأصبحت دولة واحدة، ولن ينهض العرب من كبوتهم إلا بالإيمان والعلم والعمل والعدل والوحدة.

فالإيمان: يجعلهم عباداً لله صادقين مخلصين أهلاً لحمل الرسالة التي جاء بها النبي العربي ﷺ بكتاب عربي، فيعتزون بدينهم، ويتشرفون برسالتهم للعالم. وبالعلم ينفضون عنهم غبار الجهل والأمية والتخلف، وتفتح أمامهم أبواب المعرفة والإبداع والاختراع.

وبالعمل ينطلقون في ميادين الحياة وحقول البناء والتعمير وبينون صروح المجد، فلا يكونون عالة على غيرهم همهم الاستيراد والاستهلاك وإنما يملكون الكفاية والاستغناء عن الآخرين.

وبالعدل يرتفع عنهم سوط الظلم وسيف الجبروت وشبح الاستبداد، ويعيشون أحراراً كرماء شرفاء سواسية في الحقوق والواجبات بلا ظلم ولا اضطهاد ولا مصادرة لحقوق الآخرين ولا تكميم للأفواه الراشدة ولا حجب للآراء السديدة.

وبالوحدة تتم لهم القوة والعزة وتهاجم الأمم وتقدرهم الشعوب ويُسمع صوتهم في المحافل الدولية ويحتلون موقع الصدارة بين أمم الأرض، كيف كنا وكيف أصبحنا، كنا في فترة من فترات التاريخ يوم آمننا بالله واعتصمنا به وطلبنا العلم وحكمنا بالعدل ونشرنا المعرفة، كنا حينها سادة العالم ومنتجي أروع حضارة في تاريخ البشرية الطويل وشيّدنا عواصم في العلم والازدهار المعرفي والمجد الحضاري في مكة والقاهرة وبغداد ودمشق والزيتونة والقيروان وقسنطينة ومراكش وقرطبة والحمراء والزهراء وإسطنبول والسند، ثم صرنا الآن في وضع يُرثى له نطلب الدواء والغذاء والكساء من غيرنا ونستورد ملابسنا وأثاثنا ومراكبنا من سوانا ونطلب العفو من القوى العظمى الضاربة ونستجدي العالم لحمايتنا، بل إن الشعوب العربية تتوسل إلى حلف الناتو أن يحميها من بطش الظالمين وقهر السفّاحين، وصرنا في عالم الدنيا من الدول النامية بل النائمة والعالم الثالث فلا ديناً نصرنا، ولا عدواً كسرنا، ولا جهلاً قهرنا، ولن نعود إلى مجدنا الباهي السابق إلا كما كنا مؤمنين صادقين عاملين صابرين أوفياء لرسالتنا حفاظاً لمبادئنا غيورين على أمتنا أهل علم وعدل ووحدة وسلام ورحمة.



العقل العربي في الواجهة

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وأبولهب الهاشمي القرشي في النار وبلال بن رباح الحبشي في الجنة ولكن العرب نزلت الرسالة بلسانهم والرسول ﷺ منهم في أرضهم جرت ثورة التوحيد وملحمة الفتوحات فكان العبء عليهم ثقیلاً والمسؤولية كبيرة مقابل الفخر الذي حازوه والشرف الذي أدرکوه بمبعث النبي العربي منهم ونزول القرآن العربي بلغتهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ أي شرف لك ولقومك ولكن المفارقة الغريبة أن تجد بعض العرب يحاربون هذا الشرف، ويتكبرون للرسالة ويصدون عن سبيل الله ويتبعون كل ناعق ويبلغونها عوجاً فبعض زنادقتهم سخر من الدين وقده في الملة واعترض على الشريعة بينما تجد الأعاجم في تركيا والهند وإفريقيا تسيل دموعهم عند سماع الحق وترخص دماؤهم في سبيل الله، فما لقومنا العرب لا يدخلون في الشرف العربي الوحيد الذي توجنا الله به برسالة سيد ولد آدم ﷺ.

يجب على العقل العربي أن يكون في مقدمة العقول المتدبرة لآيات التشريف ونصوص الوحي، وهذا العقل العربي ينبغي أن ينتظر منه الناس اكتشاف أسرار الرسالة ومقاصد الإسلام وحكم التشريع، هذا العقل العربي لم يُخلق للرواية الآثمة ولا للكتاب الإلحادي ولا للفكرة القومية الأرضية، إنه عقل يجب أن يكون ربانياً سماوياً؛ لأن العرب قدموا للعالم أشرف إنسان وطى الثرى وأتحفوا الدنيا بالخلفاء الراشدين وزينوا قائمة التاريخ برموز من أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو ومحمد بن القاسم، نحن العرب أشرفنا على العالم مع موعد من التاريخ وكأن الدهر ينتظرنا والأرض تشتاق لنا شوقها للغيث المدرار بعد جذب شديد، لما ذهبنا لنيودلهي ولكنو وإسطنبول وأديس أبابا أخذنا نمدحهم؛ لأنهم أكثر حفظاً للقرآن منا وأكثر تعلماً للسنّة فقام خطباؤهم ورفضوا ما قلناه، وقالوا: بل أنتم العرب الذين قدموا أعظم التضحيات وأجلّ الجهود لنشر

الإسلام، أنتم العرب الذين امتطوا البحار، وطووا القفار، وساروا مسير الليل والنهار، حتى رفعوا لا إله إلا الله، أنتم العرب الذين صلّوا في السند وأذّنوا في قرطبة وسجدوا في بخارى وخطبوا في البنجاب ودرّسوا بطاشقند واستشهدوا عند سور الصين العظيم، فأنتم الأوائل أيها العرب وأنتم الرواد والأساتذة وأنتم سادة الركب وأنتم قادة القافلة، فسكتنا وسلمنا، نعم هذه حقيقة لا يمكن أن تُنكر ولكن لماذا نشأ في العرب جيل عاق يتنكر للمسجد والمصحف وزمزم وصحيح البخاري ويركب موجة ماركوس وجيفارا وعبد الناصر وميشيل عفلق وغيرهم من المرتزقة المبتورين من تاريخ الأمة المحمدي، ومن رسالتها الربانية وميراثها المبارك للوحي، لماذا العربي بالذات، يصد عن الآيات البيّنات، إلى القصص الساقطات؟

لماذا العربي بالذات، يهجر صحيح البخاري ومسلم ليتّبع رسائل الباطنية ومؤلفات الماركسية وغطاء القومية العربية؟ لماذا العربي الأبى بعد أن ألبسه الله التاج ورصّعه بالأوسمة وأجلسه على منبر المجد وجعله في مقام الإمامة للعالم برسالة محمد بن عبد الله ﷺ؟ لماذا هذا العربي يخرج مارقاً مارداً يرفض العزة ويأبى الريادة ويكره الكرامة ليكون تابعاً لرموز إبليسية وأصناماً شيطانية تأخذ مكان اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى؟ أما أن لنا أن نصحو؟ أما حان لنا أن نستيقظ؟ لماذا لا نفكر من نحن؟ وكيف كنا؟ وكيف أصبحنا؟ أما كنا مصدر التلقي في العالم؟ أما كنا قصة الإلهام في الدنيا؟ أما كنا أنشودة الكفاح في المعمورة؟ أما كنا مضرب المثل للبشرية في العدل والرحمة والصبر والصلاح والهمة؟ فهل لنا من عودة صادقة نحن العرب بالخصوص إلى مصدر رفعتنا وسر خلودنا ونقطة قوتنا بلا إله إلا الله محمد رسول الله وأقول لجميع المسلمين: نحن العرب لسنا أفضل الناس ولا شعب الله المختار ولا تجري في عروقنا الدماء الزرقاء، لكننا الصف الأول من تلاميذ الرسالة والرعيّل المتقدم من خدام الملة أرضاً وإنساناً وتاريخاً وجغرافياً ومآثر، ونحن نريد أن نعود إلى المركز الأول.



الغرب يجاهد ويحرم علينا الجهاد

لماذا يجاهد الغرب ويحرم علينا الجهاد نحن المسلمين؟ والدليل على ذلك أنه يصنع النووي ويمنعنا من ذلك، ويحتل أرضنا ويحرم أرضه، ويستعمر بحارنا ومحيطاتنا، ويدافع عن بحاره ومحيطاته، ومصانعه تنتج الصواريخ والقنابل والقذائف والبارجات والراجمات وحاملات الطائرات وليس عندنا مصانع إلا مصانع الألبان والبيبيسي، والغرب يحذرنا من العدوان والتسلح وهو يعتدي ويتسلح ليل نهار؛ لأن الغرب ذكي ويعلم أن القوة هي مصدر الهيبة والعظمة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، والعالم لا يحترم إلا القوي، أما الدبلوماسية والرومانسية والعواطف السياسية فهي كلام فارغ يذر الرماد في العيون ومخادعة الخصم لأن الحرب خدعة وإشغال الشرق في الفنون التشكيلية والرقصات الشعبية والحفلات التراثية على حساب المصانع الحربية ضحكة مكشوفة وإلا فإن دبابة واحدة خير من ألف قصيدة، وصنع صاروخ أفيد من مئة حفلة استعراضية وإنتاج قنبلة أكثر هيبة من مئة ملحمة تذكرنا بمجد الآباء.

وكان يا ما كان في قديم الزمان، يقول نابليون: لا تحدثني كم عند البابا من كتاب، حدثني كم عند البابا من دبابة، هل العالم يحترم الدولة لحسن سمعتها ولطافة ذوقها وكريم تواضعها أم لقوتها وهيبتها، وإن عقلاء العالم وعلماء الحروب وأساتذة العسكرية في الدنيا مجمعون على أن الأقوى هو المحترم والمهيب في المعمورة؛ لأن الدنيا لا تقوم على النزاهة في عالمنا الأرضي وإنما النزاهة والقداسة في الوحي السماوي والشريعة الأرضية، والسياسة تقوم على الخديعة والمكر وما دام أن أهل الأرض يتحاکمون فيما بينهم بقوانين أرضية وبلا شرائع سماوية فالمسألة إذن مسألة مصالح ومناورات ومغامرات بالعلو والاستيلاء والقهر وإثبات الوجود.

وانظر إلى الدول الخمس الكبرى النووية كيف تتصح غيرها بترك النووي والتوبة من القنبلة الذرية وهي أصلاً لم يحترمها العالم ولم يقدرها حق قدرها إلا لأنها تملك السلاح النووي، فكلمة الدول الخمس مسموعة وراياتها مرفوعة وهي تملك حق النقض (الفيتو) لأي قرار، والعالم يخضع لها ويخاف صوتها وجبروتها وهي في الوقت نفسه تعظ بقية الدول وتتصح سائر الشعوب بأن يكونوا مؤدبين وكويّسين وحلويين ولطيفين، فلا يصنّعوا القنبلة النووية؛ لأن هذا فيه خطر على العالم ولا يجوز لأحد أن يصنّع النووي إلا الدول الكبرى لتبقى لها الهيمنة والسلطة والجبروت، لقد كان الغرب ذكياً وهو ينشئ الصواريخ العابرة للقارات والقنابل الذرية المدمرة للكون وهو يمنعنا في الشرق من صنع ذلك؛ لأنه يعلم أن الذي يحكم العالم ويستولي على خيراته يحتاج إلى قوة قاهرة وغلبة ظاهرة، أما الاكتفاء بقراءة التاريخ والتسلي بأمجاد الماضي فهو يصلح للطلاب الكسالى في المدارس الليلية في محو الأمية، كما قال نزار قباني عن العرب:

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتب؟

يا ابن الوليد ألا سيف تُوجِّره

فإن أسيفنا قد أصبحت خشباً؟

أيها العرب، أرجوكم أقيموا المفاعلات النووية لأغراض سلمية، وحوّلوا مباني كثير من الصحف اليومية الهزيلة التي لا يقرؤها أحد ودور التراث الشعبي بجمع الخردة والحبال البالية والفؤوس المثلمة والجفان المكسرة والصحاف المعطوبة حوّلوها إلى صناعة دبابات وراجمات وصواريخ وأقمار صناعية وغواصات حتى يحترمنا العالم ويسمع صوتنا ويقدر مكانتنا؛ لأن العالم تحكمه شريعة الأقوى، قال الشاعر العربي:

تعدو الذئاب على مَنْ لا كِلابَ له

وتتقي مريض المستأسد الضاري

ولا يغرنا الكلام المعسول الذي نسمعه من إيران وغيرها من أنها تريد بالنووي
إحراق إسرائيل، فهذا كله هذيان وهسترة وسفسطة وهرطقة، قال الشاعر خلف
بن هذال:

ولا تامن فروخ الداب لو عاشن وبوهن مات

تجيك الصبح بانباين تنسل كنها انيايه



المعيشة الضنك

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ المعيشة الضنك هي ضيق الصدر وتواصل الهم والغم والحزن والتسخط من القضاء والتبرُّم بأقدار الله والقلق والاضطراب وتمني الموت والإشراف على الانتحار، كما قال المتنبّي:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا
وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
تَمَنِّيَتَهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى
صَدِيقًا فَأَعْيَى أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

ولست المعيشة الضنك أن تسكن كوخاً أو لا تجد مالاً أو أن تفقد عضواً من أعضائك أو أن تصاب بمصيبة وأنت مع ذلك تملك الإيمان والصبر والقناعة وحسن الاتصال بالله في صلاة خاشعة وتلاوة متدبرة وذكر لله دائم، فأنت بهذا النهج في حياة طيبة كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، فصاحب الحياة الطيبة راضٍ بقضاء الله طائع لربه متبع لرسوله ﷺ يحمل القناعة في نفسه والرضى في قلبه يسلم لله فيما كتب من الأقدار إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإن أذنب استغفر، وأجمل وصف له هو قوله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن إصابته ضراء فصبر كان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن».

أتريد أن ترى صاحب المعيشة الضنك؟ سوف تجده في إنسان عاصٍ فاجر تارك للصلاة ظالم لعباد الله عاق لوالديه قاطع لرحمه معترض على قضاء الله

يلهث وراء المادة حينها تجده يعيش مهزوماً مفتوناً حائراً قلقاً؛ لأن الذي يملك السعادة هو الله وحده، فإذا أغلق الإنسان الباب الذي بينه وبين الله وقطع الحبل الواصل الذي يصله بالله فمن أين تأتيه السعادة؟ وسوف تشاهد في حياتك أهل العيشة الضنك الذين أعرضوا عن الهداية وألغوا المسجد من حياتهم والسجود لله وهجروا القرآن وارتكبوا ما يسخط الله وقد يجمع أحدهم مالاً كثيراً ويملك ثروة هائلة ويجمع دوراً وقصوراً لكنه في غم دائم وحزن مستمر ولا يفهم من هذا أن الأغنياء والأثرياء دائماً أشقياء بل كم من غني ومؤمن صادق وعابد منيب يسكن قصرًا مشيداً وكم من فقير ممزق الثوب مفلس من المال وهو عدو لله فالميزان ليس كثرة المال أو قلته أو فخامة المسكن أو بؤسه أو علو المنصب أو دنوه إنما الشأن في قلب هذا الإنسان في ضميره في إرادته فالسعادة تأتي من النفس المطمئنة المؤمنة والشقاء والمعيشة الضنك تنطلق من قلبٍ مارد جاحد ومن ضميرٍ خاوٍ ومن إرادة فاشلة.

اقرأ قصصاً عالية لأثرياء وأغنياء جمعوا المليارات والبنوك ومنهم من انتهى إلى الانتحار أو المرض النفسي أو الهسترة والهذيان وفقد العقل لأنهم فقدوا البوصلة التي تدلهم على السعادة والحياة الطيبة المتمثلة في الإيمان الصادق والقناعة واستقامة الضمير والقيام بالحقوق والواجبات وإعطاء كل ذي حق حقه، لا تبحث عن السعادة في جمع الدولار والدينار واليورو والريال والدرهم فإن كبار يهود العالم يملك الواحد منهم من الثروة ما لا تملكه دولة من الدول لكنه جمعها من الربا والغش والنصب وغسل الأموال وهو مع ذلك محارب لله مكذب لرسله معرض عن طاعته فأين السعادة إذن؟ ولا تظن السعادة أن تسكن قصرًا أو برجاً عاجياً أو حديقة غناء، فقد سكنها قوم وملكها أناس، لكنهم لما أخطؤوا طريق السعادة حُرِّموا الحياة الطيبة وعاشوا أشقياء بكدر وانزعاج حتى أبتهم القاضية، وفي المقابل وجد السعادة أناسٌ يسكنون الخيام وينامون على الحصير

ثورة التجديد

ويأكلون خبز الشعير لكنهم ما بين سجدةٍ وتلاوةٍ ودعاءٍ وقناعةٍ وصبرٍ وشكرٍ، فعاشوا سعداء وماتوا راضين عن الله والله راضٍ عنهم، فيا أيها الإنسان، فتش عن السعادة فيما أعطاك الله في مواهبه الجمّة في نعمه الجزيلة ومفتاح ذلك الإيمان به جل في علاه وامتنال أمره واجتناب نهيه مع حسن معاملة عبادته، وقد جمعها ﷺ في قوله: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».



الناجح لا ينتظر الظروف

الناجح بهمته وصدق عزيمته يسهّل الله له الصعاب ويهيئ له الظروف، أما الكسول الفاشل المحبط فيعتذر بالظروف وتقلبات الطقس وحالات المناخ، كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَقَالُوا لَا نَفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾. وكما قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو يوبخ المهزومين: إذا حلّ الصيف قلتهم: لا نفر في الحر، وإذا حلّ الشتاء، قلتهم لا نقاتل في القر، فلا في الحر قاتلتهم، ولا في القر جاهدتم يا أشباه الرجال ولا رجال، يا أمثال ربات الحجاب، فالناجح يتوكل على الله ولا تعيقه الظروف عن طموحه ومشروعاته الرائدة الجبارة، أما الضعيف المهزوم فأى ظرف يعيقه، فتجد عنده قائمة من الظروف الصعبة في نظره تمنعه من العلم والتزود من المعرفة والصعود إلى معالي الأمور وتولي المهمات الصعبة، خذ مثلاً حفظ القرآن أعرف شباباً من سنوات يتوعدون ويهددون بأنهم «سوف» يحفظونه ولكن إذا تشافت والدة أحدهم أو أكمل دراسته وعاد إلى مدينته أو انتهى من إجازته عنده كلمة «سوف» وهي كلمة الإحباط والفشل والانهازم وقد ندد الله بأعدائه وأحال عليهم سوف عذاباً في الآخرة فقال: ﴿ذُرِّهِمْ يَا كُلُّوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾.

قال بعض العلماء: حملهم طول الأمل، وسوء العمل، واستبطاء الأجل، على الإكثار من «سوف»، فأنبئت لهم شجرة «سوف» نبتة (ليت) طلعتها (لعل) وثمرها (الخبية) وطمعها (الندامة) لا تنتظر الظروف تتهياً لك فما تهيأت لأحد، فالرواد والقاتحون والعظماء والعلماء والمخترعون عندهم ظروف مثل ظروفك بل أشد كانوا يمرضون ويجوعون ويفتقرون ويموت أقاربهم ويهاجمون من أعدائهم وحسادهم لكنهم يصبرون ويستمررون ويواصلون، أحسن الله عزاءك في النجاح والتميز والريادة إذا بقيت تنتظر الظروف السانحة والمناسبة لك، متى تتعلم العلم إذا كان الشتاء يؤذيك ببرده، والصيف يزعجك بحرّه، وتكرار العلم يسبب لك

الإرهاق، والحفظ يجلب لك الملل، والعمل يدخل عليك المشقة؟ يقول الصينيون: الجالس على الأرض لا يسقط؛ لأنه ساقط أصلاً من أين يسقط وهو لم يصعد جبلاً ولم يرتقِ قمة إنما يسقط من يصعد جبال الهملايا والألب والسرورات ويجنح كالصقر في طلب السمو والرفعة.

التقى الحصان والحمار، فقال الحمار للفرس: لو خفضت من الجري، فقد أتعبت نفسك، قال الحصان: أنا لما أسرع في الجري ركبني الملوك وأنت لما أبطأت في السير حملوا عليك الروث والخطب، وقال الضبع للأسد: أنا في مكاني يأتيني سيدي وأنا سمين منعم وأنت لا تأكل صيدك إلا بعد جهد وقتال، قال الأسد: لأنك تأكل الميتة والجيفة، فرضيت بالدون وأنا لا أكل إلا البازل من الجمال والسمينة من البقر، وكثير من الناس تركوا الفضائل والتحلي بالصفات الجميلة وطلب العلم والمعرفة بحجة أن الظروف لا تساعدهم أو كانت ضدهم، أتذكر أحد الأثرياء في بغداد اعترض على الأعمش المحدث الكبير لما أورد حديثاً عن الرسول ﷺ فقال الرجل الثري للأعمش: ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين، فقال الأعمش: أشغلك عنه جلوسك على جفان الثريد وتربعك على فرش الحرير.

وفي الصحيح أن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: كنت قبل الهجرة في الحرم أصلي وحدي فأقبل رجلان سميان بطينان، كثير شحم بطونهما قليل فقه عقولهما، وقال أحدهم للآخر: هل ربنا يسمعنا إذا تكلمنا؟ فقال الآخر: يسمعنا إذا رفعنا أصواتنا ولا يسمعنا إذا تناجينا، وفي حياتنا نشاهد أناساً فارغين عاطلين فنسألهم: لماذا تركوا القراءة أو التلاوة أو عملاً صالحاً محددًا؟ فيعتذرون إما بكثرة أسفارهم أو ظروفهم العائلية أو أنهم سوف يفعلون ذلك مستقبلاً وما هناك إلا التسويف والإرجاف والوهم، الصادق في عزمته يركب الصعب والذلول؛ ليحقق مراده بإذن الله، ولقد طاعت كتاب (سير أعلام النبلاء) في (٢٣) مجلدًا (والأعلام) للزركلي (١٠) مجلدات كلها عن الأعلام والعظماء والناجحين، فإذا القاسم المشترك الذي يجمعهم هو الهمة العالية والصبر والمثابرة وحفظ الوقت

وعدم انتظار الظروف المناسبة ومنهم الأعمى والأشل والأعرج والمقعّد والمريض والفقير، ولكنهم ساروا نجوماً في العلم والمعرفة والقيادة وأبواب الخير والصلاح، فابداً من الآن وتوكل على الله ولا تنتظر تهيؤ الظروف، فما تهيأت لأحد، ولم تُفرش طرق المثابرين والمجاهدين واللامعين بالورد، بل بالشوك والتعب والنصب والدموع والعرق والدماء، حتى جلسوا فوق النجوم، قال أبو الطيب:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرُومٍ
فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ
كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ



بناء المجد

بناء المجد أناس تركوا أثرهم الطيب في الحياة، وسجلوا أسماءهم في سجل الشرف والمجد؛ لما قدموه لأمتهم من خير ونفع وما خلفوه للأجيال من تراث مجيد وتركه مباركة، وأي نجاح في مجال من مجالات الحياة هو من بناء المجد أيًا كان ذلك المجال، وبناء المجد في الإسلام لهم صفات، منها أن يكون الله راضياً عن هذا الإنسان وأن يقدم عملاً نافعاً وأن يكون من حوله راضين عنه بين ثلاثة أركان لمجد المؤمن الصادق في الدنيا والآخرة الناجح في حياته فلا بد أن يؤمن بالله على منهج رسول الله ﷺ لأن المنحرف الضال لا يُعَدُّ في الإسلام ناجحاً؛ لمحاربتة لربه وكفره بأياته وشرعه وأن يقدم عملاً ينتفع هو به ويستفيد منه البشر وأن يرضى عنه من حوله من والد وابن وزوجة وصديق وشريك ونحوه، فلا نجاح لشريير وفاجر يؤذي الناس ويكون سبباً في شقائهم مهما قدّم من عمل، فالناجح يشعر بالأمان في نفسه ويعيش الناس معه في أمان ويأمن غضب الله بطاعته، ولهذا قال الله في أولياته الناجحين الفائزين: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

وأنا أذكر أمثله للناجحين في الحياة، فالسلطان العادل الذي ينشر الخير ويرحم العباد ويعمل بالمساواة ويحمل روح الإنصاف ناجح يُشكر في الدنيا والآخرة، والعالم الرباني الذي تعلّم العلم وعمل به وعلمه الناس نجم في سماء الفضيلة والبر والصلاح والطبيب الحاذق الذي ينصح لمريضه ويسعى في شفاء الناس مبجل محترم من الرواد، والمهندس الذي يشارك في العمار ويسهم بفكره وجهده في البناء رجل مرموق له مكانته في سجل الشرف، والكاتب الموهوب الذي يرسم بقلمه حروف الوعي والنهضة والصلاح ويجتنب الإساءة والزور كوكب دُرِّي يضاف إلى قائمة اللامعين في مسيرة العطاء والرقى والنجاح، وقس على ذلك المشاركين في صنع الحياة الكريمة الراشدة من مزارع وجندي وبناء وصحفي وغيرهم، إن بناء المجد لا

يحتاجون إلى دعاية من غيرهم تقوم على استئجار الأقلام وشراء الضمائر، وإنما جهدهم المبارك وعملهم المشكور ونتاجهم الباهر وأثرهم الطيب خلد أسماءهم في ذاكرة الأمة وفي ديوان الريادة، من الذي يستطيع الآن أن يمسح بجرّة قلم أو بكلمة مؤذية اسم رمز تاريخي، قدّم لأمتة أعمالاً جلييلة أو ترك آثاراً خالدة اعترف بها العقلاء، وفي المقابل من الذي يستطيع أن يرفع وضيعاً خاملاً فاشلاً ناقصاً تافهاً، فيجعله في الصف الأول مع قادة العلم والفكر والزعامة والموهبة والتميز؟

إن الشمس في رابعة النهار لا تحتاج إلى قصائد عصماء في مدحها، فقد فرضت جلالها وبهاءها وسناءها على الكون وإن القمر ليلة البدر لا تزيد ملاحم الثناء وكلمات الإعجاب علواً إلى علوه، قال زميلنا وصديقنا أبو الطيب المتنبّي:

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ

فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ

وفي كتب الأخبار أن أعرابياً كان في وادٍ مظلم يمشي ليلاً، وقد اسودَّ عليه المكان، فوقف حائراً، وفجأة طلع القمر عليه فالتفت إلى القمر فرحاً مسروراً، وقال من شدة الغبطة وهو يخاطب القمر: يا قمر، إن قلت: رفعك الله فقد رفعك، وإن قلت: جمّلك الله فقد جمّلك، لكن أقول: جزاك الله خيراً يا قمر، قام أحد الأندال في عصر التابعين يسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له أحد العلماء: يا فلان، إن علي بن أبي طالب قد بلغ من الرفعة عند الله وعند خلقه ما لا ينفعه مدح مادح ولا يضره سبُّ ساب، واعلم أن علياً قد رضى الله عنه، وأدخله الجنة فهل يضره بعد هذا كلام؟ فسكت الرجل كأنه كلبٌ ألقم حجراً، ومن الأمثلة المضحكة أنني قرأت لبعض كتّابنا في صحف محلية يحاكمون شيخ الإسلام ابن تيمية ويدّعون أنه لم يفهم بعض القضايا كما ينبغي وعنده خلط عجيب في بعض المسائل وهؤلاء الكتّاب أصفار حتى في عالم الكتابة، نكرات في الحياة في حاجة ماسة إلى تعليم وتربية وأدب، فابن تيمية ليس بنبي معصوم لكنه إمام

معتبر كبير خطير شهد له الشرق والغرب حتى بعض المفكرين من غير المسلمين سجّلوا شهادات إعجاب لهذا العالم، الرباني والمفرد العلم فيأتي كاتب بليد غبي لم يفهم كلام هذا العبقرى الأعجوبة، فيقول ما قال، فليته سكت على جهله وستر غبائه ولكنه فضح نفسه، وادعى بالباطل جهلاً أن ابن تيمية عنده تناقض وتخبط والذين يستحون قد ماتوا، والمقصود أن بناء المجد توكلوا على الله ثم اعتمدوا على أنفسهم فقدّموا بجهدهم وعرقهم عطاءً مباركاً ومجداً خالداً وأثراً عظيماً، قال إبراهيم عليه السلام لربه تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي ثناءً حسناً وذكرًا جميلاً، قال أبو الطيب:

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ

مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ



لا تعلق الدرّ في أعناق الخنازير

ذكر الحاكم في كتابه «المستدرک» أن عيسى عليه السلام مرّ بسفلة أنزال، فقيل له: ألا تعلمهم؟ فقال ﷺ: إن من الحكمة ألا تعلق الدرّ بأعناق الخنازير، تذكرت هذا القول وأنا أقرأ أخبار الملاحدة والزنادقة ومقالاتهم في الصحافة ومواقع الإنترنت وأطالع كتب فلاسفة الباطنية الكافرين بالله الصادّين عن سبيله المخاصمين لرسوله ﷺ المعرضين عن الوحي، فأتذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ثم أقرأ نتاج فروخهم وكتابات أحفادهم فإذا هم ذرية بعضها من بعض في الضلالة والانحراف وأتصفح كتب وروايات بعض شياطين العرب الذين يلمزون الشريعة ويحاربون الملة ويبغونها عوجاً ويتشدّقون بكلام الفلاسفة وينفرون من أحاديث البخاري ومسلم ويعشقون أسماء سقراط وأفلاطون وأرسطو ويهجرون أسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وأقول في نفسي: ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟ لماذا ينخلعون من مجد العرب وشرف العرب وفخر العرب وهو الرسالة النبويّة الخالدة؟ ماذا عندنا نحن العرب إذا لم نتشرّف بالإسلام؟ ماذا نملك؟ ماذا نحمل للعالم؟ ما الذي نفاخر به الدنيا؟ ما الذي نباهي به شعوب الأرض إذا لم يكن الدين الخالص والوحي المقدّس الذي بُعث به سيد ولد آدم رسول الهدى ﷺ.

إن هؤلاء العاقين يفعلون مع الرسالة المحمديّة كما يفعل الجعلان مع الزهر، إنه يفرّ من رائحة العطر ويعشق رائحة الدنس والنتن ثم أتذكر: (لا تعلق الدرّ في أعناق الخنازير)، ما الذي أعجب ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الكتّاب في طرح (ماركس) و(غوتا) و(ديكارت) و(كانت) ولم يعجبهم علم (أبي حنيفة) و(مالك) و(الشافعي) و(أحمد بن حنبل)؟ ما الذي حملهم على الهيام بروايات التحلل والفجور والمجون والتغني بأفكار الكفر ورفض الشرع والاستهزاء بالأنبياء وركوب موجة الزندقة والباطنية الجاحدة؟ والنظر بعين الازدراء إلى تراث

الصدق والطهر ونصوص القداسة والإيمان وميثاق العلو والشرف والحرية والعدل والكرامة الإنسانية المائل في رسالة الإسلام؟ لكنني أتذكر: (لا تعلق الدرّ في أعناق الخنازير).

لماذا يرفض هؤلاء الأقبام الأضلام الأصنام مكة وزمزم والقبلة واسم جبريل ﷺ ومحمد ﷺ وغار حراء والذكر الحكيم والسنة المطهرة وبدراً والفتح وبيعة الرضوان، ثم يتجهون إلى موسكو وبكين ويرددون اسم تولستوي وفولتير وهيجو ودانتي وغيرهم؟ لماذا تحب هذه الشرذمة الأفكار الطينية، والآراء الترايية، والمناهج الإلبسيّة، وتحارب الآيات الربانية، والأحاديث النبوية، والتعاليم الإسلامية؟ فأتذكر حينها: (لا تعلق الدرّ في أعناق الخنازير)، إن الواحد القهار جل في علاه شرّف العرب وغير العرب بمبعث النبي الأمي الهاشمي القرشي العربي ﷺ ولكن من حقت عليه كلمة العذاب وقدّر الله عليه الشقاء وكتب عليه الخزي والعار وأعد له الأغلال والنار لا يريد هذا الشرف ولا يحبذ طوق النجاة من الهلاك ولا يركب سفينة الإنقاذ من الفرق قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

إنني أقرأ القرآن فيعمر الرضى نفسي والسكينة روحي والطمأنينة قلبي وأشعر كأن الرحمة تحف بي، فأتساءل في نفسي: أي إكرام لي وأنا الإنسان المذنب المقصّر الفقير أن يخاطبني ربي بكلامه عن طريق رسوله؛ ليهديني ويصلح بالي وينور بصيرتي ويقوم منهجي وينقذني من غضبه وعذابه وأليم عقابه ويدخلني في رحمته؟ ثم أنظر في كلام هؤلاء المنحرفين الشاكين المدلسين الملبسين المردة الأذعياء، فأجد السخف والكذب والزور والبهتان والانحطاط، فأقرأ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. إذاً، فمن رفض الهداية وأبى الطهر وأنكر البرهان وهرب من الشرف وأدبر عن إيمان ثم أقبل بعدها على التمسح

بأوثان البشر وأقدام الطواغيت وقلب وجهه على أحذية الملاحدة الخونة فدعه في دنسه واتركه في رجسه: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْعَنَ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ﴾،
وعليك ألا تعلق الدر في أعناق الخنازير؛ لأن الخنزير خبيث النفس، خبيث الجسم،
خبيث المأكل، خبيث المشرب، خبيث الرائحة، والخبيث لا يحب إلا الخبيث، ولا يهوى
إلا الخبيث، ولا يعشق إلا الخبيث: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾،
أما أهل الإيمان، وعباد الرحمن، وحملة القرآن، وأتباع سيد ولد عدنان، فهم
رؤاد الصدق وأنصار الحق وجنود الوحي؛ لأنهم طيبون، كلامهم طيب، وفعلهم
طيب، ومعتقداتهم طيبة، ومطعمهم طيب، ومشربهم طيب، ومنقلبهم طيب:
﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾.

كرت أحمر لكل من يكتب إلحاداً أو زندقة أو فجوراً مكتوب عليه: ﴿سَتُكْتَبُ﴾
شهادتهم ويُسَكُّونَ ﴿﴾، لافتة تحذير وإنذار لكل عدو للملة وخصم للشريعة، سُجِّلَ
عليها: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.



الوحدة العربية المزعومة

ذكر كثير من المؤرخين أنه لولا النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام لما اجتمع العرب على دولة وما كان لهم كيان واحد؛ لأن العرب أمة صحراوية عشائرية، البداوة عندها تغلب التمدن، وقد ألمح إلى هذا ابن خلدون وابن مسكويه وكلما ابتعد العرب عن روح الدين الإسلامي، كثر فيه الخلاف ولا أعلم أمة اليوم من أمم أرض أكثر خلافاً من العرب، فعندهم خلاف فقهي مذهبي وخلاف عقدي طائفي وخلاف فكري وسياسي وحزبي فهم دول شتى وآراء متباينة ورايات مختلفة وتوجهات متضادة مع ضعفهم في جانب المدنية والحضارة الدنيوية فهم لم يقدموا للعالم رسالتهم الإسلامية بقوة وبصدق وبجمال ولم يهدوا للبشرية ما ينفعها في دنياها من اختراع أو صناعة أو إنتاج، بل هم مستوردون مستهلكون.

وقارن بين حال العرب الآن وحالهم في القرون الأولى المفضلة بعد البعثة المحمدية فقد كانوا في العهد الأول أمة واحدة بلا خلاف على عقيدة واحدة صحيحة قبل أن تنشأ فرق الخوارج والقدريّة والجبريّة والمعطلّة والمعتزلة وغيرهم وكانوا في الفقه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس عندهم خلاف كبير حتى يندر أن تجد في المسألة قولين قبل أن تحصل في المذاهب الأربعة وغيرها وكانوا أمة واحدة يهتز لها المشرق والمغرب وتتف الدنيا بأسرها احتراماً لها ثم مرت بنا دورة التاريخ وسنة المداولة: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ووصل بنا الحال إلى أن تقاتلنا فيما بيننا وتقاطعنا وتهاجرنا وكفر بعضنا بعضاً مع التبديع والتضليل والتفسيق فعمّلتنا الخصومات فيما بيننا عن تقديم رسالتنا للعالم وعن تمدننا وتحضرنا وقد حذرنا الله تعالى مما وقعنا فيه فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

والمسؤولية الآن مسؤولية العقلاء من أهل الحكم والعلم والفكر والأدب أن ينقذوا الأمة مما وقعت فيه من خلاف وتفرّق؛ لتوحيد الخطاب والرفق بالمخالف

وتحكيم الحوار والاجتماع على الثوابت وعذر المخالف في الفروع والجزئيات وإعطاء العقل مساحته في الرأي وأن نعفي العالم من هذه المحاكم والمشانق التي يُصلب عليها الفكر صباح مساء، ولناخذ منهج القرآن: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَرُ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾، وقوله: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾، تكتل الغرب والشرق، ونسوا خلافاتهم فاطلعوا وأنتجوا وأبدعوا وبنوا وشيّدوا واختلفنا على مستوى القرابة والقبيلة والدولة والأمة، فضعفنا ووصلنا إلى الغثائية التي أخبر بها ﷺ حيث قال عن أجيالنا: «ولكنكم غثاء كغثاء السيل». لن تنفعنا الشعارات القومية التي ما استعادت حقاً ولا بنت مجداً والتي ضيّعت أتباعها بكذبة: (أمة عربيّة واحدة، ذات رسالة خالدة) وهي من إنتاج وتوزيع شركة البعث العربي الاشتراكي، وقد رأينا آثار هذا الشعار السخيف التافه في احتلال العراق للكويت وسوريا للبنان ثم ذبح صدام، ويشار لشعبيهما في مجزرة ما سمع التاريخ بمثلها، وشعارنا وفخرنا ومجدنا في كلمة التوحيد والوحدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وليمت الجبناء بغيظهم.



التمدن عن طريق الكلاب

تحاول الأمم المغلوبة أن تحاكي الأمم الغالبة فيما أبدعته، وأجادت فيه فتعجز في الغالب فتعود لتحاكيها في أمور هزيلة وسخيفة لا تكلفها جهداً، وقد سافر شباب من الشرق إلى الغرب فانبهروا بالحضارة المادية ودُهِشوا من ضخامة الاختراعات والاكتشافات والتطور الدنيوي المذهل، ولكنهم لعجزهم عن صعود هذا السُّلم المكلف المرهق أرادوا تقليد الغرب في مشاهد باهتة ومظاهر سخيفة ليظهروا أمام الآخرين بمظهر المتمدن الحضاري، فعادوا إلينا بأدمغة جامدة وضمائر ميتة وعليهم صورة الغرب في الظاهر، فمنهم من تقلد سلسلة في عنقه وفي يديه مع قصة لشعر رأسه وجنز محزوق يرتديه وفنيلة عليها صور نجوم الفن والكرة في الغرب ومعه كلب يقوده يركب هو وقرينه الكلب سيارة مكشوفة (الخنفساء) ويعبر بها شوارعنا؛ ليرينا تمدنه وتحضره، ويا للخيبة والخسارة إن كان هذا هو التمدن والتحضر، إذا كان غايته كلباً يصاحبه وينام ويأكل معه! والكلب في شريعتنا لا يُقتنى إلا لثلاثة أسباب كما في الحديث الصحيح: في الصيد وحفظ الماشية وحراسة الحرث، أما غير ذلك فمن اقتنى كلباً أو أدخله بيته بغير تلك الأسباب فإنه فعل محرماً ينقص من أجره كل يوم قيراط.

والكلب نجس حتى إنه إذا ولغ في الإناء يُغسل منه الإناء سبع مرات إحداهن بالتراب، وملا بسة الحيوان والبهائم تورث لمن لابسها وصاحبها أخلاق هذه البهائم كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) وذكر الحديث الصحيح: «الكبر والخيلاء عند أصل أذنان الإبل والسكينة والوقار عند أهل الغنم»، فاكْتَسَبَ أهل الإبل من مصاحبة الإبل الكبر والخيلاء، واكتسب أهل الغنم من مصاحبة الغنم السكينة والوقار والصاحب ساحب، والقرين بالمقارن يقتدي، وقد ذمَّ الله أعداء الفجرة الأشقياء بأنهم أكثر انحطاطاً في الفهم من البهائم قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا

كَأَلَا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ يقول سفيان بن عيينة: ما من إنسان إلا وفيه شبه بحيوان، فمنهم من يشبه الأسد أو الصقر أو الثور أو الذئب أو الثعلب أو الرخم أو الهدهد أو الغراب إلى آخر أنواع الحيوان، والمتنبي عرّض بحسّاده وذكر أن الإبل أذكى منهم يقول مهاجماً عدوه اللدود الوزير صاحب بن عباد، وقد مر بأرضه مسافراً إلى سعيد بن عبد الله، فأرسل قذيفة إلى صاحب يقول فيها:

لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ

إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا

فَالْعَيْسُ أَعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ

عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُمَيَانَا

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسَّوَاءِ يَذْكُرُنِي

فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَاهْوَانَا

والكلب أخس الحيوانات وأقذرها وأحطّها، حتى إن الله وصف العالم الخائن الفاجر بالكلب، فقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ﴾.

وعلى طاري الكلاب وكلام أبي الطيب المتنبي على متمه كان دعبل الخزاعي الشاعر الشهير يسمى شاعر الكلاب؛ لأنه أمر عند موته أن يُدفن عند باب مقبرة آل البيت بالنجف، ويكتب على قبره: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾، وقد هجا خلفاء بني العباس بالترتيب الأول فالأول فلما تولى المعتصم وكان الثامن من خلفاء بني العباس قال دعبل:

مَلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْكُتُبِ سَبْعَةٌ

وَلَمْ تَأْتْنَا فِي ثَامِنٍ مِنْهُمْ الْكُتُبُ

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
وثامنهم فيما أتى عندنا كلبٌ

واني لأزري الكلب عن ذكره بكم
لأن لكم ذنباً وليس له ذنبٌ

فما جزاء من أخرجنا أمام العالم وأرسلناه إلى الغرب؛ ليكون مهندساً أو
طبيباً أو طياراً، فعاد يجرُّ في شوارعنا زميله الكلب بحبل من مسد في عنقه كأنه
حمالة الحطب، إن التمدن هو الرقي بالذوق والتعالى إلى هامة المجد والانتصار
على الرذائل وإثراء العقل بالمعرفة والقلب بالإيمان واليد بالعمل، التمدن ليس
المظهر المخزي الباهت السخيف الذي يحاكي أراذل القوم ممن عجز عن الإبداع
والإنتاج والعمل، فصار صفرًا في هامش الحياة.



الشباب صنّاع التغيير

كان جيش الرسول ﷺ في بدر شباباً خرجوا معه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فحطموا الأصنام، وداسوا الأعلام، وحذفوا رؤوس الأقرام، واستمر الشباب في كل أمة وفي كل جيل يصنعون أملها المنشود ومجدها الموعود.

والذي شرح خاطري في شباب تونس ومصر والذين صنعوا التغيير أنهم جمعوا بين الإيمان والعمل؛ الإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، والعمل من أجل حياة كريمة وحضارة راقية ومجتمع سليم معافى، كانوا يصلّون الصلوات الخمس في الميدان، ويحفظون الأمن، وينظفون السكك، ويداؤون الجرحى، وينظمون المرور، جمعوا بين ثقافة المسجد والمصنع، والمصلّى والشركة، والمصحف والميدان، والقلم والمشرط والريشة، فأذهلوا العالم بإيمانهم وصبرهم وثقافتهم.

كنت قبل أسبوع في الهند مع بعض الدعاة السعوديين، فزرنا خمس جامعات في ولاية كجيرات وجمعية العلماء بنيودلهي وندوة العلماء بلكنو، فوجدنا شباباً مؤمناً بالله جمع بين دراسة صحيح البخاري والفيث بوك، بين التسبيح وتعلم الكيمياء، بين اتباع السنة ودراسة الكون، وكان أستاذهم في الهند الدكتور أبو الكلام الفيزيائي المسلم المصلي الذي اكتشف القنبلة الذرية، فأكرمه الشعب الهندي بأن توجّه رئيساً للهند، كان عنده معمل فيزيائي معه ثمانية موظفين، إذا أذن المؤذن ترك العمل، وذهب إلى المسجد، وهذا الذي نريده من الشباب.

وعجبي من شباب مفلسين محبطين فاشلين ليسوا ناجحين في الدين ولا في الدنيا، بل تجدهم متذمرين من الطاعة لله، عندهم خجل من التدين، ما أخذوا من الغرب إلا ركوب البنز، ولبس الجنز، فصار أحدهم كالعنز، قلوبهم فارغة من الإيمان، وأدمغتهم فاضية من الثقافة والمعرفة، وهم ممتازون في السهر الضائع

وقتل الوقت في نفث سجائر الدخان والأحلام الوردية والوساوس الشيطانية، صلينا صلاة الجمعة في الهند في اليوم الذي سقط فيه رأس النظام المصري فيما يقارب عشرين ألف شاب مسلم درسوا علم الشريعة والرياضيات والكيمياء والفيزياء، وأخذوا يدعون الله أن ينصر الشعب المصري كما نصر الشعب التونسي، فهم يحملون رسالة الإسلام التي جمعت بين الأبيض والأحمر والأسود، وبين العربي والهندي والفارسي والتركي والكردي وكل أجناس البشر.

إن الأمة الإسلامية لا يصنع تغييرها إلى الأفضل والأجمل والأكمل إلا شباباً مؤمن يعترف بالقبلة والمصحف والشريعة، مؤمن بالعمل، وينتشر بعد الصلاة إلى المكتب والثكنة والعيادة والمزرعة والجندي والجامعة والسوق، يشارك في صنع الحياة، فيبني ويعمّر، ويخطط ويهندس، ويحراث الأرض، ويبيع ويشترى، ويحرس الأمة، ويكون عضواً صالحاً في المجتمع المسلم.

لا نريد شباباً فاجراً يستهزئ بالديانة، ويخون الأمانة، لا يشارك في صنع الحياة، وإنما هو غدة زائدة في الجسم، وصفر مهمل في عدد الأمة، من أين أتتهم الفكرة التي تقول: لن يحصل تقدم دنيوي إلا بالتكر للدين؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. لقد شاهدنا الشباب المسلم الناجح في الشرق والغرب الذي حصل على أعلى الشهادات وأعظم الجوائز في كل تخصص، وهو يحافظ على الصلوات الخمس، ورأينا الشباب الفاشل المهزوم المسحوق وقد تكرر للعبادة، ففشل في الدراسة والوظيفة والإنتاج، نريد أن نجتمع بين المسجد والمصنع، والجامعة والميدان، والمصحف والمختبر، بين المجد في الدنيا والنجاة في الآخرة، وأعوذ بالله من الكفر والفقر والفجور والكسل. يقول الله تعالى في كتابه عن الشباب المؤمن صانع التغيير: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

